

الشاةُ المتحررةُ والذئبُ الجائعُ

صالح الهطالي

٥ من شعبان لعام ١٤٠٦ هـ / ١٥ من أبريل لعام ١٩٨٦ م

هذه قصة رمزية هادفة ترمي إلى وجوب التقيد بتعاليم الإسلام، كما أمرنا سبحانه وتعالى، وعدم اتباع خطوات الشيطان.

يُحكى أنه كان هناك راعٍ يرعى الغنم، وكان الراعي يخرج كلَّ يوم في الصباح الباكر بالغنم يبحث عن مكان يجد فيه الكلاً والماء، لكي يعطي الغنم حَقَّها من الأكل والشراب. وكان الراعي قد اشترط على الأغنام أن تتبعه في كل مكان يذهب بها إليه، وأن تتق به لأنها أغنامه ولا يريد بها سوءاً. وقد اشترط على الأغنام أيضاً أن لا تتفرَّق عن بعضها في مأكَلٍ أو مشربٍ، مخافة أن يأتيها الذئب فيفترسها. وافقت كل الأغنام على هذه الشروط، فكانت دوماً ملتزمة مع بعضها البعض.

وذات يوم قالت إحدى الشياه لزميلاتهما: "لماذا نتبع هذا الراعي؟ لماذا لا تذهب كل واحدة منا إلى مكان، وننظر في مرتع أو غدير أفضل من هذا الذي نذهب إليه؟ وإنما إن وجدنا ما نريد، فسنعيش حياةً أفضل من هذه الحياة التي نعيشها". ردَّت عليها إحدى الشياه: "ألم تسمعي شرط الراعي علينا بأن لا نبتعد عن بعضنا، مخافة أن يأتينا الذئب فيأكلنا، ونحن لا حول لنا ولا قوَّة بغير الراعي؟" ردَّت عليها الشاة: "إننا لن نذهب بعيداً، وأيضاً فإننا لم نر في حياتنا ذئباً، فلماذا هذا الجبن؟ وعلى العموم، إن رفضتُ رأبي فسأذهب بنفسِي، وسأكسر أنا هذه القيود".

لم توافق الشياه على رأيها، فخرجت لوحدها من القطيع خطوة خطوة، مخافة أن يراها الراعي فيردّها، ولم تعلم بأنّ الراعي كان يسمع نجواها مع زميلاتها، وكان يراقبها وهي تخرج من القطيع، ولكنه أراد أن يُثبت للأغنام الأخرى أنّ ما يقوله حق.

ابتعدت الشاة قليلاً قليلاً، وكانت أشعة الشمس الساطعة تسقط على الأرض فتُكوّن السراب الذي يتراءى للعين من بعيد أنه ماء. أبصرت الشاة ذلك السراب، وظنّت أنه ماء، وركبها الغرور، وقالت في نفسها: **"لقد تخلّصتُ من قيود ذلك الراعي، والآن إلى الحياة الرغيدة"**.

اندفعت الشاة نحو الماء، والسراب يبتعد كلما قربت منه، ويخيل إليها أنها تقترب منه شيئاً فشيئاً. وبعد أن أعيها الجري توقّفت تحت ظلّ شجرةٍ تستريح، ونظرت إلى السراب فحُيّل إليها أنه لم يبق إلا شيءٌ يسير حتى تصل إليه، والتفتت ورائها، فرأت على مدّ البصرٍ قطيع الغنم ينظر ماذا عسى أن يصير من أمرها.

وبينما هي جالسة تحت ظلّ الشجرة، منهكة من التعب، تنظر إلى السراب، وهو يتصوّر في عينيها ماءً زلاًلاً، إذا بذئب يثب أمامها ويقول: **"مرحباً بالمتحررة من قيد الراعي، ومرحباً بك أكثر لو كنتِ جئتِ بأخواتٍ لك لتعشن حياة الرفاهية"**. فقالت له الشاة والسرور بادٍ على وجهها: **"من أنت؟ وهل تعرفني حتى ترحب بي؟"**

قال: **"كيف لا أعرفكن معاشر الشياه؟ ولقد كنتُ منذ زمن في شوق إلى رؤيتكن"**. قالت الشاه: **"ولكن، لم تخبرني من أنت"**. قال لها في زهوٍ وغرور: **"ألم تسمعي من راعيك بمنقذ الهارين، وموقّر الحياة الرغيدة للذين لم تعجبهم حياة الراعي. أنا الذئب يا عزيزتي!"** فقامت الشاة مذعورة في خوف وقالت: **"أنت الذئب؟ ومن أين جئت؟ وكيف تدّعي بأنك ستوفر لي الحياة الرغيدة؟"**

سكت الذئب قليلاً، ثم قال: **"أما هل أنا الذئب حقاً، فنعم، وأما من أين جئت، فإني أعيش قريباً من هنا، أترقب أيّ واحدة منكن تفلت عن القطيع، وتعصي أمر الراعي. أما قولك كيف أدّعي أنني سأوقّر لك الحياة الرغيدة، فإني صادقٌ في قولي؛ ففي بطني هذا جنات من أعشاب ومياه لم تر عينك مثلها"**.

صرخت الشاة قائلة، وهي تبكي: "إنك محتالٌ يا لعين، أنهيتَ بي إلى الموت؟!!" أجابها الذئب وهو يضحك: "لم أنهى بكِ إلى الموت، ولكنك أنتِ فعلتِ بنفسكِ هكذا عندما انفلتتِ من أوامر الراعي، ومن نصائح زميلاتكِ".

وفي لمح البصر، عوى الذئب عويةً اهتزت لها الجبال، ثم انقض على الشاة فافترسها. كانت الشياه تراقب ما يجري بين الذئب والشاة، فحزبن كثيراً لما حدث لأختهن، وحلفن أن لا يُعادرن الجماعة أبداً، وأن لا يعصين قول الراعي، وتذكرن قوله لهن: "في الجماعة رحمة وفي الفرقة عذاب".